

حديثُ خِصالِ الخَيْرِ

عناصر الخطبة:

الحديث

أهمية الحديث

فوائد مجملة من الحديث

شرح الحديث

التفصيل

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا، نَفَسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسِّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَذَكَّرُونَ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَعَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتَهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ)) [١٦]

قال النووي: وَهُوَ حَدِيثٌ عَظِيمٌ جَامِعٌ لِأَنْوَاعٍ مِنَ الْعُلُومِ وَالْقَوَاعِدِ وَالْأَدَابِ. (٢٦)

- وفيه تقريرٌ لقاعدةٍ عظيمةٍ وهي: الْجَزَاءُ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ

قال ابن القيم: فالجزاءٌ مماثلٌ للعملِ من جنسِهِ في الخَيْرِ وَالشَّرِّ، فَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسِّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ أَقَالَ نَادِمًا أَقَالَهُ اللَّهُ عَثْرَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ تَتَبَعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ تَتَبَعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ ضَارَّ مُسْلِمًا ضَارَّ اللَّهُ بِهِ، وَمَنْ شَاقَّ شَاقَّ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَمَنْ خَذَلَ مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ يَجِبُ نُصْرَتُهُ فِيهِ خَذَلَهُ اللَّهُ فِي مَوْضِعٍ يَجِبُ نُصْرَتُهُ فِيهِ، وَمَنْ سَمَحَ سَمَحَ اللَّهُ لَهُ، وَالرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرَّحْمَاءَ، وَمَنْ أَنْفَقَ أَنْفَقَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَمَنْ أَوْعَى أَوْعَى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَمَنْ عَفَا عَنْ حَقِّهِ عَفَا اللَّهُ لَهُ عَنْ حَقِّهِ، وَمَنْ تَجَاوَزَ تَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فَهَذَا شَرَعُ اللَّهِ وَقَدْرُهُ وَوَحْيُهُ وَتَوَابُهُ وَعِقَابُهُ كُلُّهُ قَائِمٌ بِهَذَا الْأَصْلِ. (٢٧)

قَوْلُهُ **صلى الله عليه وسلم**: ((مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا، نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ))

الْكُرْبَةُ: هِيَ الشَّدَّةُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي تُوقِعُ صَاحِبَهَا فِي الْكُرْبِ، وَتَنْفِيسُهَا أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُ مِنْهَا،

مَأخُودٌ مِنْ تَنْفِيسِ الْخِنَاقِ، كَأَنَّهُ يُرْخَى لَهُ الْخِنَاقُ حَتَّى يَأْخُذَ نَفْسًا، وَالتَّفْرِيجُ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، وَهُوَ أَنْ يُزِيلَ عَنْهُ الْكُرْبَةَ، فَتَفْرَجُ عَنْهُ كُرْبَتُهُ، وَيَزُولُ هَمُّهُ وَغَمُّهُ، فَجَزَاءُ التَّنْفِيسِ التَّنْفِيسُ، وَجَزَاءُ التَّفْرِيجِ التَّفْرِيجُ.

وَقَوْلُهُ: ((كُرْبَةٌ مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ))، وَلَمْ يَقُلْ: مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ كَمَا قِيلَ فِي التَّيْسِيرِ وَالسُّتْرِ، لِأَنَّ كُرْبَ الدُّنْيَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى كُرْبِ الْآخِرَةِ كَلَّا شَيْءٍ، فَادَّخَرَ اللَّهُ جَزَاءَ تَنْفِيسِ الْكُرْبِ عِنْدَهُ، لِيُنْفِسَ بِهِ كُرْبَ الْآخِرَةِ. (٢٤)

* أما عن كربات يوم القيامة فحدث ولا حرج:

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ-رحمه الله-: مَا ظَنُّكَ بِيَوْمٍ قَامُوا فِيهِ عَلَى أقدامهم خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، لَمْ يَأْكُلُوا فِيهَا أَكْلَةً، وَلَمْ يَشْرَبُوا فِيهَا شَرْبَةً، حَتَّى تَقَطَّعَتْ أَعْنَاقُهُمْ عَطَشًا، وَاحْتَرَقَتْ أَجْوِافُهُمْ جُوعًا، ثُمَّ انصُرِفَ بِهِمْ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى النَّارِ فَسَقُوا مِنْ عَيْنِ آيِيَّةٍ، قَدْ أَنَى حَرُّهَا وَاشْتَدَّ نَضْجُهَا. (٢٥)

قال تعالى يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلَّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ {الحج: ١، ٢}

وقال تعالى {فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَّةُ (٣٣) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ {عبس: ٣٣ - ٣٧}

كان الحسنُ بنُ صالحٍ -رحمه الله-، يجلسُ بعدَ طلوعِ الفجرِ في بيتهِ ويتفكرُ في أهوالِ القيامةِ فيصرخُ قائلاً: **وَ أَهْوَالَاهُ فَلَوْ كَانَ هَوَالًا وَاحِدًا لَكَفَى، وَ لَكِنَّهَا أَهْوَالٌ شَتَّى، ثُمَّ يَبْكِي وَيَشْتَدُّ بِكَأُوهُ.** (٢٦)

- فضل تنفيس كربات المسلمين:

عن عبدِ اللهِ بنِ عمرَ -رضي الله عنهما-: **أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: ((الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبَاتٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))** (٢٧)

وعنُ أبي هريرةَ، قال: **قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: ((مَنْ أَقَالَ مُسْلِمًا أَقَالَهُ اللَّهُ عَثْرَتَهُ))** (٢٨)

وعن أبي سعيدٍ الخدريِّ -رضي الله عنه- قال: **أَيُّمَا مُؤْمِنٍ أَطْعَمَ مُؤْمِنًا عَلَى جُوعٍ، أَطْعَمَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ ثَمَارِ الْجَنَّةِ، وَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ سَقَى مُؤْمِنًا عَلَى ظَمَأٍ، سَقَاهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الرَّحِيقِ الْمَخْتُومِ، وَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ كَسَا مُؤْمِنًا عَلَى عُرْيٍ، كَسَاهُ اللَّهُ مِنْ خَضِرِ الْجَنَّةِ.**

قَوْلُهُ -صلى الله عليه وسلم-: ((وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ))

وهذا يدلُّ على أنَّ الإعسارَ قدَّ يحصلُ في الآخرةِ، وقدَّ وصفَ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَنَّهُ عَسِيرٌ وَأَنَّه عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ، قال تعالى { **فَإِذَا نَقَرْنَا فِي النَّاقُورِ (٨) فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ (٩) عَلَى**

الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ} فَذَلَّ عَلَى أَنَّهُ يَسِيرٌ عَلَى غَيْرِهِمْ، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: {وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا}. وَالتَّيْسِيرُ عَلَى الْمُعْسِرِ فِي الدُّنْيَا مِنْ جِهَةِ الْمَالِ يَكُونُ بِأَحَدِ أَمْرَيْنِ: إِمَّا بِإِنظَارِهِ إِلَى الْمَيْسِرَةِ، وَذَلِكَ وَاجِبٌ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ}، وَتَارَةً بِالْوَضْعِ عَنْهُ إِنْ كَانَ غَرِيمًا، وَإِلَّا فَبِإِعْطَانِهِ مَا يَزُولُ بِهِ إِعْسَارُهُ، وَكِلَاهُمَا لَهُ فَضْلٌ عَظِيمٌ. (٢٩١)

- فضل التيسير على المعسرين:

عن أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ: ((كَانَ تَاجِرٌ يُدِينُ النَّاسَ، فَإِذَا رَأَى مُعْسِرًا قَالَ لِفِتْيَانِهِ: تَجَاوَزُوا عَنْهُ، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا، فَتَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُ)) (٢١٠)

وعن حُذَيْفَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((أَتَى اللهُ بِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِهِ آتَاهُ اللهُ مَالًا، فَقَالَ لَهُ: مَاذَا عَمِلْتَ فِي الدُّنْيَا؟ قَالَ: وَنَا يَكْتُمُونَ اللهُ حَدِيثًا، قَالَ: يَا رَبِّ آتَيْتَنِي مَالَكَ، فَكُنْتُ أَبِيعُ النَّاسَ، وَكَانَ مِنْ خُلُقِي الْجَوَازُ، فَكُنْتُ أَتَيْسِرُ عَلَى الْمُوسِرِ، وَأُنْظِرُ الْمُعْسِرَ، فَقَالَ اللهُ: أَنَا أَحَقُّ بِذَا مِنْكَ، تَجَاوَزُوا عَنْ عَبْدِي)) (٢١١)

وعن أَبِي مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((حُوسِبَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَلَمْ

يُوجَدُ لَهُ مِنَ الْخَيْرِ شَيْءٌ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ، وَكَانَ مُوسِرًا، فَكَانَ يَأْمُرُ غِلْمَانَهُ أَنْ يَتَجَاوَزُوا عَنِ الْمُعْسِرِ))، قَالَ: ((قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: نَحْنُ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْهُ، تَجَاوَزُوا عَنْهُ))(١١٢)

* وعن أبي قتادة الأنصاري -رضي الله عنه-، أنه طلبَ غريمًا له، فتوارى عنه ثمَّ وجده، فقال: إني مُعسرٌ، فقال: آله؟ قال: آله؟ قال: فإني سمعتُ رسولَ الله -صلى الله عليه وسلم-، يقولُ: ((مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنَجِيَهُ اللَّهُ مِنْ كُرْبٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلْيَنْفَسْ عَنِ مُعْسِرٍ، أَوْ يَضَعْ عَنْهُ)) (١١٣)

* وفي حديث أبي اليسر -رضي الله عنه-، عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، قال: ((مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا، أَوْ وَضَعَ عَنْهُ، أَظَلَّهُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ)) (١١٤)

وعن بُرَيْدَةَ -رضي الله عنه-، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ: ((مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلَهُ صَدَقَةٌ))، قَالَ: ثُمَّ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: ((مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلَيْهِ صَدَقَةٌ))، قُلْتُ: سَمِعْتُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ تَقُولُ ((مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلَيْهِ صَدَقَةٌ))، ثُمَّ سَمِعْتُكَ تَقُولُ: ((مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلَيْهِ صَدَقَةٌ))، قَالَ لَهُ ((بِكُلِّ يَوْمٍ صَدَقَةٌ قَبْلَ أَنْ يَجِلَّ الدَّيْنُ، فَإِذَا حَلَّ الدَّيْنُ فَأَنْظَرَهُ فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلَيْهِ صَدَقَةٌ)) (١١٥).

وقوله -صلى الله عليه وسلم-: ((وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ))

أَيُّ رَأَى عَلَى قَبِيحٍ فَلَمْ يُظْهِرْهُ لِلنَّاسِ، وَلَيْسَ فِي هَذَا مَا يَقْتَضِي تَرْكَ الْإِنْكَارِ عَلَيْهِ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ. (١١٦)

- فضل الستر على المسلمين

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما-: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة، فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة)) (٢١٧)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه-، عن النبي صلى الله عليه وسلم-، قال: ((لا يستر عبد عبدًا في الدنيا، إلا ستره الله يوم القيامة)) (٢١٨)

وعن ابن عباس رضي الله عنهما-، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((من ستر عورة أخيه المسلم، ستر الله عورته يوم القيامة، ومن كشف عورة أخيه المسلم، كشف الله عورته، حتى يفضحه بها في بيته)) (٢١٩)

قال الغزالي رحمه الله-: فهذا إنما يرجي لعبد مؤمن ستر على الناس غيوبهم، واحتمل في حق نفسه تقصيرهم، ولم يحرك لسانه بذكر مساويهم، ولم يذكرهم في غيبتهم بما يكرهون لو سمعوه، فهذا جدير بأن يجازى بمثله في القيامة. (٢٢٠)

والله عز وجل ستير يحب الستر:

عَنْ يَعْلَى بْنِ أُمِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَلِيمٌ حَيٌّ سِتِيرٌ يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتِرْ)) (٢١٦)

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: لو أخذت شارباً لأحببت أن يستتره الله، ولو أخذت سارقاً لأحببت أن يستتره الله. (٢٢٦)

وينبغي للمسلم أن يحذر من تتبع عورات المسلمين:

لأنَّ الله تعالى يقول { وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا كَتَبْنَا فَتَنًا وَبُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا } [الأحزاب: ٥٨] وقال تعالى { إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } [النور: ١٩]

وعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: صَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الْمِنْبَرَ فَنَادَى بِصَوْتٍ رَفِيعٍ، فَقَالَ: ((يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُفِضِ الْإِيمَانَ إِلَى قَلْبِهِ، لَا تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ تَتَّبَعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ تَتَّبَعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَّبَعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ)) قَالَ: وَنَظَرَ ابْنُ عُمَرَ يَوْمًا إِلَى الْبَيْتِ أَوْ إِلَى الْكَعْبَةِ فَقَالَ: ((مَا أَكْبَرُ حُرْمَتَكَ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكَ، وَالْمُؤْمِنُ أَكْبَرُ حُرْمَةً عِنْدَ اللَّهِ مِنْكَ)) (٢٣٦)

قال أبو حاتم ابن حبان رحمه الله:- الواجب على العاقل لزوم السلامة بترك التجسس عن عيوب الناس مع الاشتغال بإصلاح عيوب نفسه، فإن من اشتغل بعيوبه عن عيوب غيره أراح

بدنه ولم يتعب قلبه، فكلما اطلع على عيب لنفسه هان عليه ما يرى مثله من أخيه، وإن من اشتغل بعيوب الناس عن عيوب نفسه، عمى قلبه وتعب بدنه وتعذر عليه ترك عيوب نفسه، وإن من أعجز الناس من عاب الناس بما فيهم، وأعجز منه من عابهم بما فيه، ومن عاب الناس عابوه. ولقد أحسن الذي يقول:

إِذَا أَنْتَ عَيْتَ النَّاسَ عَابُوا وَأَكْثَرُوا * عَلَيْكَ وَأَبْدُوا فِيكَ مَا كَانَ يُسْتَرُّ

وَإِمَّا ذَكَرْتَ النَّاسَ فَاتْرُكْ عُيُوبَهُمْ * وَلَا عَيْبَ إِلَّا مِثْلَ مَا فِيكَ يُذَكَّرُ

فَإِنْ عَيْتَ قَوْمًا بِالَّذِي فِيكَ مِثْلُهُ * فَكَيْفَ يَعْيبُ الْعُورَ مَنْ هُوَ أَعْوَرُ. (٢٤٦)

* فينبغي للمسلم أن ينشغل بعيوبه عن عيوب الناس:

كَتَبَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- إِلَى أَبِي بِنِ كَعْبٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: لَأَ تَكُونَنَّ بَصِيرًا بِعُيُوبِ النَّاسِ، فَإِنَّ الَّذِي يُبْصِرُ عُيُوبَ النَّاسِ، وَيَهُونُ عَلَيْهِ عَيْبُهُ، كَمَنْ يَتَكَلَّفُ مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِهِ، وَالسَّلَامُ. (٢٥١)

قال ابن القيم: من عرف نفسه اشتغل بإصلاحها عن عيوب الناس، و من عرف ربه اشتغل به عن هوى نفسه. (٢٦٦)

وقال ابن القيم -رحمه الله-: طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، وويل لمن نسى عيبه وتفرغ لعيوب الناس، فالأول علامة السعادة، والثاني علامة الشقاوة. (٢٧٧)

ما يُستثنى من الستر:

قال ابن رجب -رحمه الله-: وَاعْلَمْ أَنَّ النَّاسَ عَلَى ضَرْبَيْنِ: أَحَدُهُمَا: مَنْ كَانَ مَسْتُوْرًا لَّا يَعْرِفُ بِشَيْءٍ مِنَ الْمَعَاصِي، فَإِذَا وَقَعَتْ مِنْهُ هَفْوَةٌ، أَوْ زَلَّةٌ، فَإِنَّهُ لَّا يَجُوزُ كَشْفُهَا، وَلَا هَتْكُهَا، وَلَا التَّحَدُّثُ بِهَا؛ لِأَنَّ ذَلِكَ غَيْبَةٌ مُحَرَّمَةٌ، وَهَذَا هُوَ الَّذِي وَرَدَتْ فِيهِ النُّصُوصُ، وَفِي ذَلِكَ قَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ} [النور: ١٩]. وَالْمُرَادُ: إِشَاعَةُ الْفَاحِشَةِ عَلَى الْمُؤْمِنِ الْمُسْتَتِرِ فِيمَا وَقَعَ مِنْهُ، أَوْ اتُّهِمَ بِهِ وَهُوَ بَرِيءٌ مِنْهُ، كَمَا فِي قِصَّةِ الْإِفْكِ.

وَالثَّانِي: مَنْ كَانَ مُشْتَهَرًا بِالْمَعَاصِي، مُعْلَنًا بِهَا لَّا يُبَالِي بِمَا ارْتَكَبَ مِنْهَا، وَلَا بِمَا قِيلَ لَهُ فَهَذَا هُوَ الْفَاجِرُ الْمُعْلَنُ، وَلَيْسَ لَهُ غَيْبَةٌ، كَمَا نَصَّ عَلَى ذَلِكَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ وَغَيْرُهُ، وَمِثْلُ هَذَا لَّا بَأْسَ بِالْبَحْثِ عَنْ أَمْرِهِ لِتَقَامَ عَلَيْهِ الْحُدُودُ. (٢٨٧)

قال النووي -رحمه الله-: وَأَمَّا السُّتْرُ الْمُنْدُوبُ إِلَيْهِ هُنَا فَالْمُرَادُ بِهِ السُّتْرُ عَلَى ذَوِي الْهَيْئَاتِ وَنَحْوِهِمْ مِمَّنْ لَيْسَ هُوَ مَعْرُوفًا بِالْأَدَى وَالْفَسَادِ، وَأَمَّا الْمَعْرُوفُ بِذَلِكَ، فَيُسْتَحَبُّ أَنْ لَا يُسْتَرَّ عَلَيْهِ، بَلْ تَرْفَعُ قِصَّتُهُ إِلَى وِلِيِّ الْأَمْرِ إِنْ لَمْ يَخَفْ مِنْ ذَلِكَ مَفْسَدَةً؛ لِأَنَّ السُّتْرَ عَلَى هَذَا يُطْمَعُ فِي الْإِيذَاءِ وَالْفَسَادِ وَأَنْتَهَاكِ

الْحُرْمَاتِ وَجَسَارَةِ غَيْرِهِ عَلَى مِثْلِ فِعْلِهِ، وَهَذَا كُلُّهُ فِي سِتْرِ مَعْصِيَةٍ وَقَعَتْ وَانْقَضَتْ، أَمَّا مَعْصِيَةٌ رَأَتْ عَلَيْهَا، وَهُوَ بَعْدُ مُنَلَّبَسٌ، فَتَجِبُ الْمُبَادَرَةُ بِإِنْكَارِهَا عَلَيْهِ وَمَنْعُهُ عَلَى مَنْ قَدَرَ عَلَى ذَلِكَ، فَلَا يَحِلُّ تَأْخِيرُهَا، فَإِنْ عَجَزَ لَزِمَهُ رَفْعُهَا إِلَى وِلِيِّ الْأَمْرِ إِذَا لَمْ يَتَرْتَّبْ عَلَى ذَلِكَ مَفْسَدَةٌ.

وَأَمَّا جَرْحُ الرُّوَاةِ وَالشُّهُودِ وَالْأَمْنَاءِ عَلَى الصَّدَقَاتِ وَالْأَوْقَافِ وَالْأَيْتَامِ وَنَحْوِهِمْ فَيَجِبُ عِنْدَ الْحَاجَةِ، وَلَا يَحِلُّ السُّتْرُ عَلَيْهِمْ إِذَا رَأَى مِنْهُمْ مَا يَقْدَحُ فِي أَهْلِيَّتِهِمْ، وَلَيْسَ هَذَا مِنَ الْغَيْبَةِ الْمُحْرَمَةِ، بَلْ مِنَ النَّصِيحَةِ الْوَاجِبَةِ، وَهَذَا مُجْمَعٌ عَلَيْهِ. (٢٢٩)

قال ابن تيمية - رحمه الله -: لَمْ يَكُنْ لِلْمُعَلِّينِ بِالْبِدْعِ وَالْفُجُورِ غَيْبَةٌ كَمَا رُوِيَ ذَلِكَ عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ وَغَيْرِهِ؛ لِأَنَّهُ لَمَّا أُعْلِنَ ذَلِكَ اسْتَحَقَّ عُقُوبَةَ الْمُسْلِمِينَ لَهُ وَأَدْنَى ذَلِكَ أَنْ يُذَمَّ عَلَيْهِ لِيَنْزَجِرَ وَيَكْفَ النَّاسُ عَنْهُ وَعَنْ مُخَالَطَتِهِ وَلَوْ لَمْ يُذَمَّ وَيُذَكَّرَ بِمَا فِيهِ مِنَ الْفُجُورِ وَالْمَعْصِيَةِ أَوْ الْبِدْعَةِ لَأَغْتَرَّ بِهِ النَّاسُ وَرَبَّمَا حَمَلَ بَعْضَهُمْ عَلَى أَنْ يَرْتَكِبَ مَا هُوَ عَلَيْهِ وَيَزْدَادَ أَيْضًا هُوَ جُرْأَةً وَقُجُورًا وَمَعَاصِيًا فَإِذَا ذُكِرَ بِمَا فِيهِ انْكَفَّ وَانْكَفَّ غَيْرُهُ عَنِ ذَلِكَ وَعَنْ صُحْبَتِهِ وَمُخَالَطَتِهِ، قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: أَتَرَعَّبُونَ عَنِ ذِكْرِ الْفَاجِرِ أُذْكَرُوهُ بِمَا فِيهِ كَيْ يَحْذَرَهُ النَّاسُ. (٢٣٠)

قَوْلُهُ: ((وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ))

قال الصنعاني - رحمه الله -: هَذَا دَالٌّ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى يَتَوَلَّى إِعَانَةً مَنْ أَعَانَ أَخَاهُ وَهُوَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ يَتَوَلَّى عَوْنَهُ فِي حَاجَةِ الْعَبْدِ الَّتِي يَسْعَى فِيهَا، وَفِي حَوَائِجِ نَفْسِهِ فَيُنَالُ مِنْ عَوْنِ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُنْ

يَنَالُهُ بِغَيْرِ إِعَانَتِهِ، وَإِنْ كَانَ تَعَالَى هُوَ الْمُعِينُ لِعَبْدِهِ فِي كُلِّ أُمُورِهِ لَكِنْ إِذَا كَانَ فِي عَوْنِ أَخِيهِ زَادَتْ إِعَانَةُ اللَّهِ، فَيُؤْخَذُ مِنْهُ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يَسْتَعْلَ بِقَضَاءِ حَوَائِجِ أَخِيهِ فَيَقْدِّمُهَا عَلَى حَاجَةِ نَفْسِهِ لِيَنَالَ مِنْ اللَّهِ كَمَالَ الْإِعَانَةِ فِي حَاجَاتِهِ. (٣١٦)

فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: ((وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ)) (٣١٧)

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-، أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيَّ اللَّهُ؟ وَأَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَيَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ اللَّهُ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَيَّ اللَّهُ سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تُطْرِدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلِأَنَّ أَمْشِيَّ مَعَ أَخِي لِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ، يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ، شَهْرًا، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ، وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ، مَلَأَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَلْبَهُ أَمْنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى أَثْبَتَهَا لَهُ أَثْبَتَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدَمَهُ عَلَى الصِّرَاطِ يَوْمَ تَزَلُّ فِيهِ الْأَفْدَامُ)) (٣١٨)

قَالُوا لِابْنِ الْمُنْكَدَرِ: أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: إِذْخَالَ السُّرُورَ عَلَى الْمُؤْمِنِ يَقْضِي عَنْهُ

دَيْنًا، يَقْضِي لَهُ حَاجَةً، يُنْفِسُ عَنْهُ كُرْبَةً ". (٣١٩)

وَعَنْ أَنَسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي السَّفَرِ، فَمِنَّا الصَّائِمُ وَمِنَّا الْمُفْطِرُ، قَالَ: فَزَلْنَا مَنْزِلًا فِي يَوْمٍ حَارٍّ، أَكْثَرْنَا ظِلًّا صَاحِبُ الْكِسَاءِ، وَمِنَّا مَنْ يَتَّقِي الشَّمْسَ بِيَدِهِ، قَالَ: فَسَقَطَ الصُّوَامُ، وَقَامَ الْمُفْطِرُونَ، فَضَرَبُوا الْأُبْيَةَ وَسَقَوْا الرُّكَّابَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((ذَهَبَ الْمُفْطِرُونَ الْيَوْمَ بِالْأَجْرِ)) (٢٣٥)

* وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ يَحْلِبُ لِلْحَيِّ أَغْنَامَهُمْ، فَلَمَّا اسْتُخْلِفَ، قَالَتْ جَارِيَةٌ مِنْهُمْ: الْآنَ لَا يَحْلِبُهَا، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: بَلَى وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ لَا يُغَيِّرَنِي مَا دَخَلْتُ فِيهِ عَنْ شَيْءٍ كُنْتُ أَفْعَلُهُ.

وَكَانَ عُمَرُ يَتَعَاهَدُ الْأَرَامِلَ يَسْتَقِي لِهِنَّ الْمَاءَ بِاللَّيْلِ، وَرَأَهُ طَلْحَةَ بِاللَّيْلِ يَدْخُلُ بَيْتَ امْرَأَةٍ، فَدَخَلَ إِلَيْهَا طَلْحَةُ نَهَارًا، فَإِذَا هِيَ عَجُوزٌ عَمِيَاءُ مُتَعَدَّةٌ، فَسَأَلَهَا: مَا يَصْنَعُ هَذَا الرَّجُلُ عِنْدَكَ؟ قَالَتْ: هَذَا مُذْ كَذَا وَكَذَا يَتَعَاهَدُنِي يَأْتِينِي بِمَا يُصْلِحُنِي، وَيُخْرِجُ عَنِّي الْأَذَى، فَقَالَ طَلْحَةُ: تَكَلِّتُكَ أُمُّكَ طَلْحَةُ، عَثَرَاتِ عُمَرَ تَتَّبَعُ؟! وَكَانَ أَبُو وَائِلٍ يَطُوفُ عَلَى نِسَاءِ الْحَيِّ وَعَجَائِزِهِمْ كُلَّ يَوْمٍ، فَيَشْتَرِي لِهِنَّ حَوَائِجَهُنَّ وَمَا يُصْلِحُهُنَّ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: صَحِبْتُ ابْنَ عُمَرَ فِي السَّفَرِ لِأَخْدُمَهُ، فَكَانَ يَخْدُمُنِي. وَكَانَ كَثِيرًا مِنَ الصَّالِحِينَ يَشْتَرِطُ عَلَى أَصْحَابِهِ فِي السَّفَرِ أَنْ يَخْدُمَهُمْ. (٢٣٦)

قَوْلُهُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ))

وَسَلُّوكَ الطَّرِيقَ لِلتَّمَّاسِ الْعِلْمِ يَدْخُلُ فِيهِ:

- سُلُوكُ الطَّرِيقِ الْحَقِيقِيِّ، وَهُوَ الْمَشْيُ بِالْأَقْدَامِ إِلَى مَجَالِسِ الْعُلَمَاءِ. ٢

- وَيَدْخُلُ فِيهِ سُلُوكُ الطَّرِيقِ الْمَعْنَوِيَّةِ الْمُؤَدِّيَّةِ إِلَى حُصُولِ الْعِلْمِ، مِثْلَ حِفْظِهِ، وَدَارِسَتِهِ، وَمَذَاكِرَتِهِ، وَمَطَالَعَتِهِ، وَكِتَابَتِهِ، وَالنَّفْهَمَ لَهُ، وَنَحْوَ ذَلِكَ مِنَ الطَّرِيقِ الْمَعْنَوِيَّةِ الَّتِي يَتَوَصَّلُ بِهَا إِلَى الْعِلْمِ. (٢٣٧)

وَقَوْلُهُ: ((سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ))

قَدْ يُرَادُ بِذَلِكَ:

١- أَنَّ اللَّهَ يُسَهِّلُ لَهُ الْعِلْمَ الَّذِي طَلَبَهُ، وَسَلَكَ طَرِيقَهُ، وَيُسِّرُهُ عَلَيْهِ، فَإِنَّ الْعِلْمَ طَرِيقٌ مُوصِلٌ إِلَى الْجَنَّةِ، وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ}. قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: هَلْ مِنْ طَالِبِ عِلْمٍ فَيُعَانُ عَلَيْهِ؟.

٢- وَقَدْ يُرَادُ أَيْضًا: أَنَّ اللَّهَ يُسِّرُ لِطَالِبِ الْعِلْمِ إِذَا قَصَدَ بِطَلْبِهِ وَجْهَ اللَّهِ الْإِنْتِفَاعَ بِهِ وَالْعَمَلَ بِمُقْتَضَاهُ، فَيَكُونُ سَبَبًا لِهِدَايَتِهِ وَلِدُخُولِ الْجَنَّةِ بِذَلِكَ.

٣- وَقَدْ يُسِّرُ اللَّهُ لِطَالِبِ الْعِلْمِ عُلُومًا أُخْرَى يَنْتَفِعُ بِهَا، وَتَكُونُ مُوصِلَةً لَهُ إِلَى الْجَنَّةِ، كَمَا قِيلَ: مَنْ عَمَلَ بِمَا عِلْمٌ، أَوْرَثَهُ اللَّهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ، وَكَمَا قِيلَ: ثَوَابُ الْحَسَنَةِ الْحَسَنَةُ بَعْدَهَا، وَقَدْ دَلَّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى}، وَقَوْلُهُ: {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ}.

٤- وَقَدْ يَدْخُلُ فِي ذَلِكَ أَيْضًا تَسْهِيلُ طَرِيقِ الْجَنَّةِ الْحَسِيِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - وَهُوَ الصِّرَاطُ - وَمَا قَبْلَهُ وَمَا بَعْدَهُ مِنَ الْأَهْوَالِ، فَيُبَيِّرُ ذَلِكَ عَلَى طَالِبِ الْعِلْمِ لِلانْتِفَاعِ بِهِ، فَإِنَّ الْعِلْمَ يَدُلُّ عَلَى اللَّهِ مِنْ أَقْرَبِ الطَّرِيقِ إِلَيْهِ، فَمَنْ سَلَكَ طَرِيقَهُ، وَلَمْ يَعْزُجْ عَنْهُ، وَصَلَ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى الْجَنَّةِ مِنْ أَقْرَبِ الطَّرِيقِ وَأَسْهَلِهَا فَسَهَّلَتْ عَلَيْهِ الطَّرِيقُ الْمُوصِلَةَ إِلَى الْجَنَّةِ كُلِّهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَلَا طَرِيقَ إِلَى مَعْرِفَةِ اللَّهِ وَإِلَى الْوُصُولِ إِلَى رِضْوَانِهِ وَالْفَوْزِ بِقُرْبِهِ وَمَجَاوِرَتِهِ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا بِالْعِلْمِ النَّافِعِ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ بِهِ رُسُلَهُ، وَأَنْزَلَ بِهِ كُتُبَهُ، فَهُوَ الدَّلِيلُ عَلَيْهِ، وَبِهِ يُهْتَدَى فِي ظُلُمَاتِ الْجَهْلِ وَالشُّبُهَةِ وَالشُّكُوكِ، وَلِهَذَا سَمَّى اللَّهُ كِتَابَهُ نُورًا؛ لِأَنَّهُ يُهْتَدَى بِهِ فِي الظُّلُمَاتِ. وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى ((قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)) (٢٣٨)

قَوْلُهُ -صلى الله عليه وسلم-: ((وَمَا جَلَسَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَعَشِيَّتُهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ)).

هَذَا يَدُلُّ عَلَى اسْتِحْبَابِ الْجُلُوسِ فِي الْمَسَاجِدِ لِتَلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَمُدَارَسَتِهِ.

وَهَذَا إِنْ حُمِلَ عَلَى تَعَلُّمِ الْقُرْآنِ وَتَعْلِيمِهِ، فَلَا خِلَافَ فِي اسْتِحْبَابِهِ، فَعَنْ عُمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم-، قَالَ: ((خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ)) (٢٣٩) وَقَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ

السَّلْمِيُّ: فَذَاكَ الَّذِي أَقْعَدَنِي فِي مَقْعَدِي هَذَا، وَكَانَ قَدْ عَلَّمَ الْقُرْآنَ فِي زَمَنِ عُمَانَ بْنِ عَفَانَ حَتَّى بَلَغَ الْحَجَّاجَ بْنَ يُونُسَ.

وَعَنْ عُبَيْدَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ فِي الصَّفَةِ، فَقَالَ: ((أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بُطْحَانَ، أَوْ إِلَى الْعَقِيقِ، فَيَأْتِيَ مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ فِي غَيْرِ إِثْمٍ، وَلَا قَطْعِ رَحِمٍ؟))، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ نَحِبُّ ذَلِكَ، قَالَ: ((أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمُ، أَوْ يَقْرَأُ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمَنْ أَعْدَاهُنَّ مِنَ الْبَابِ)) (٤٠٧)

- وَإِنْ حُمِلَ عَلَى مَا هُوَ أَعْمُ مِنْ ذَلِكَ، دَخَلَ فِيهِ الْجَمِيعُ فِي الْمَسْجِدِ عَلَى دِرَاسَةِ الْقُرْآنِ مُطْلَقًا..
 . وَاسْتَدَلَّ الْأَكْثَرُونَ عَلَى اسْتِحْبَابِ الْجَمِيعِ لِمُدَارَسَةِ الْقُرْآنِ فِي الْجُمْلَةِ بِالْأَحَادِيثِ الدَّالَّةِ عَلَى اسْتِحْبَابِ الْجَمِيعِ لِلذِّكْرِ، وَالْقُرْآنُ أَفْضَلُ أَنْوَاعِ الذِّكْرِ. (٤١٦)

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إِنْ لِلَّهِ مَلَائِكَةٌ يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ " قَالَ: ((فَيَحْفُونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا. . . الخ)) (٤٢٦)

وَقَدْ أَخْبَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ جَزَاءَ الَّذِينَ يَجْلِسُونَ فِي بَيْتِ اللَّهِ يَتَدَارَسُونَ كِتَابَ اللَّهِ أَرْبَعَةٌ أَشْيَاءَ:

أَحَدُهَا: تَنْزِلُ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ، وَمُصَدِّقٌ ذَلِكَ فِي حَدِيثِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ رَجُلٌ يَقْرَأُ سُورَةَ الْكَهْفِ، وَإِلَى جَانِبِهِ حِصَانٌ مَرْبُوطٌ بِشَطْنَيْنِ، فَتَغَشَّتُهُ سَحَابَةٌ، فَجَعَلَتْ تَدْنُو وَتَذْنُو وَجَعَلَ فَرَسُهُ يَنْفِرُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ: ((تِلْكَ السَّكِينَةُ تَنْزَلَتْ بِالْقُرْآنِ)) (٤٣١)

وكذلك حديث أبي سعيد الخدري، أَنَّ أُسَيْدَ بْنَ حُضَيْرٍ بَيْنَمَا هُوَ لَيْلَةً يَقْرَأُ فِي مَرْبَدِهِ، إِذْ جَاءَتْ فَرَسُهُ، . . . وفيه، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ كَانَتْ تَسْتَمِعُ لَكَ، وَلَوْ قَرَأْتَ لِأَصْبَحْتَ يَرَاهَا النَّاسُ مَا تَسْتَتِرُ مِنْهُمْ)) (٤٤١)

وَالثَّانِي: غَشِيَانُ الرَّحْمَةِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ} [الأعراف: ٥٦]

وَالثَّلَاثُ: أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَحْفُّ بِهِمْ، وَهَذَا مَذْكُورٌ فِي الْأَحَادِيثِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا.

وَالرَّابِعُ: أَنَّ اللَّهَ يَذْكُرُهُمْ فِيْمَنْ عِنْدَهُ، كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ.)) (٤٥١)

وَهَذِهِ الْخِصَالُ الْأَرْبَعُ لِكُلِّ مُجْتَمِعِينَ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى، كَمَا فِي أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدِ الْخَدْرِيِّ أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: ((لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيْمَنْ عِنْدَهُ)) (٤٦١) وَقَدْ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ} وَذَكَرُ اللَّهُ لِعَبْدِهِ: هُوَ تَنَاوَهُ عَلَيْهِ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى بَيْنَ مَلَائِكَتِهِ وَمُبَاهَاتِهِ بِهِ وَتَنَوِيهِهُ بِذِكْرِهِ.

قَوْلُهُ -صلى الله عليه وسلم-: ((وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ))

يَعْنِي مَنْ أَخْرَهُ عَمَلُهُ عَنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ أَوْ وُصُولِ الْمَقَامِ الرَّفِيعِ لَمْ يُفِذْ نَسَبُهُ لِعَدَمِ مَدْخَلِهِ فِيهِمَا؛ إِذِ السَّبَبُ لَهُمَا إِنَّمَا هُوَ الْإِيمَانُ وَالْعَمَلُ.

قال النووي -رحمه الله-: مَعْنَاهُ مَنْ كَانَ عَمَلُهُ نَاقِصًا لَمْ يُلْحِقْهُ بِمَرْتَبَةِ أَصْحَابِ الْأَعْمَالِ فَيَنْبَغِي أَنْ لَا يَتَكَلَّ عَلَى شَرَفِ النَّسَبِ وَفَضِيلَةِ الْأَبَاءِ وَيَقْصُرَ فِي الْعَمَلِ. (٤٧٤)

وقال ابن رجب -رحمه الله-: مَعْنَاهُ أَنَّ الْعَمَلَ هُوَ الَّذِي يَبْلُغُ بِالْعَبْدِ دَرَجَاتِ الْآخِرَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا}، فَمَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ أَنْ يُبْلَغَ بِهِ الْمَنَازِلَ الْعَالِيَةَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ، فَيَبْلُغُهُ تِلْكَ الدَّرَجَاتِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى رَتَّبَ الْجَزَاءَ عَلَى الْأَعْمَالِ، لَا عَلَى الْأَنْسَابِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ}. (٤٨١)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- حِينَ أَنْزَلَ عَلَيْهِ: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} ((يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، اسْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللَّهِ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ

شَيْئًا، يَا صَفِيَّةَ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ، لَأُغْنِيَنَّكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ، سَلِّينِي بِمَا
شِئْتِ لَأُغْنِيَنَّكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا)) (٤٩)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((إِنَّ اللَّهَ لَأَ
يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ)) (٥٠)

والحمد لله رب العالمين

([١]) رواه مسلم (٢٦٩٩)

([٢]) شرح النووي على مسلم (١٧ / ٢١)

([٣]) إعلام الموقعين (١ / ١٥٠)

([٤]) جامع العلوم والحكم (٢ / ٢٨٦)

([٥]) النهاية في الفتن والملاحم (١ / ٣٥٧)

([٦]) الرقة والبكاء لابن أبي الدنيا (ص: ٢٠٧)

([٧]) رواه البخاري (٢٤٤٢) ومسلم (٢٥٨٠)

([٨]) رواه أبو داود (٣٤٦٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢ / ١٠٤٨)

[٩] جامع العلوم والحكم (٢ / ٢٨٩)

[١٠] رواه البخاري (٢٠٧٨) ومسلم (١٥٦٢)

[١١] رواه البخاري (٢٠٧٧) ومسلم (١٥٦٠)

[١٢] رواه مسلم (١٥٦١)

[١٣] رواه مسلم (١٥٦٣)

[١٤] رواه مسلم (٣٠٠٦)

[١٥] رواه أحمد (٥ / ٣٦٠) وصححه الألباني في الصحيحة (١ / ١٧٠)

[١٦] فتح الباري لابن حجر (٥ / ٩٧)

[١٧] رواه البخاري (٢٤٤٢) ومسلم (٢٥٨٠)

[١٨] رواه مسلم (٢٥٩٠)

[١٩] رواه ابن ماجة (٢٥٤٦) وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢ / ٢٩٢)

[٢٠] إحياء علوم الدين (٤ / ٥١٩)

[٢١] رواه أبو داود (٤٠١٢) والنسائي (٤٠٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١ / ٣٦١)

[٢٢] الطبقات الكبرى (٥ / ٩)

[٢٣] رواه الترمذي (٢٠٣٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢ / ١٣٢٣)

[٢٤] روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص: ١٢٥)

[٢٥] الصمت لابن أبي الدنيا (ص: ٢٨٤)

[٢٦] الفوائد لابن القيم (ص: ٥٧)

[٢٧] طريق الهجرتين (ص: ١٧٢)

[٢٨] جامع العلوم والحكم (٢/ ٢٩٢)

[٢٩] شرح النووي على مسلم (١٦/ ١٣٥)

[٣٠] مجموع الفتاوى (١٥/ ٢٨٦)

[٣١] سبل السلام (٢/ ٦٣٩)

[٣٢] رواه البخاري (٢٤٤٢) ومسلم (٢٥٨٠)

[٣٣] رواه الطبراني في الأوسط (٦٠٢٦) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٩٧)

[٣٤] شعب الإيمان (١٠/ ١٣٠)

[٣٥] رواه البخاري (٢٨٩٠) ومسلم (١١١٩)

[٣٦] جامع العلوم والحكم (٢/ ٢٩٥)

[٣٧] جامع العلوم والحكم (٢/ ٢٩٧)

[٣٨] جامع العلوم والحكم (٢/ ٢٩٧)

[٣٩] رواه البخاري (٥٠٢٧)

[٤٠] رواه مسلم (٨٠٣)

[٤١] جامع العلوم والحكم (٣٠٠ / ٢)

[٤٢] رواه البخاري (٦٤٠٨) ومسلم (٢٦٨٩)

[٤٣] رواه البخاري (٥٠١١) ومسلم (٧٩٥)

[٤٤] رواه البخاري (٥٠١٨) ومسلم (٧٩٦)

[٤٥] رواه البخاري (٧٤٠٥) ومسلم (٢٦٧٥)

[٤٦] رواه مسلم (٢٧٠٠)

[٤٧] شرح النووي على مسلم (٢٢ / ١٧)

[٤٨] جامع العلوم والحكم (٣٠٨ / ٢)

[٤٩] رواه البخاري (٢٧٥٣) ومسلم (٢٠٦)

[٥٠] رواه مسلم (٢٥٦٤)